مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- المركز الجامعي بغليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 06/ العدد: 04 (2020) - ص 184- 194

أشكـــال حضـــور الشخصيـــة العجائبيـة في رواية "الحوّات والقصر" للطاهر وطّار

The forms of the fantastic character in a “Al-Hawat and Al-Qasr”

ربيعة براخلية [1] ليلى جودي [2]
brakhliarabiaa@gmail.com[1] leiladjoudi@windowslive.com[2]
[1] مخبر الخطاب الصوفي
جامعة الجزائر 2

تاريخ الاستلام: 2020/06/17 تاريخ القبول: 2020/07/21 تاريخ النشر: 2020/12/10

ملخص البحث

يدرس هذا البحث تشكيل الشخصية العجائبية في سرد الأديب الجزائري "الطاهر وطار"، من خلال روايته" الحوات والقصر"، التي تعددت أنماطها وتنوع حضورها بين شخصية عجائبية محضة وأخرى متحولة وشخصيات صنعت عجائبيتها من خلال تواجدها ضمن عالم فوق طبيعي، وكيف استثمر الكاتب هذا الحضور في خلق نص سردي في إطار عجائبي يبعث على الحيرة والدهشة لدى المتلقي، متخذا من التراث الشعبي والحكايات العجائبية متكأً انطلق منه لبناء عالمه وفق رؤيا مغايرة للواقع.

الكلمات المفتاحية: الشخصية العجائبية، الحوات والقصر، البطل الملحمي، التحول، فوق طبيعي.

ABSTRACT:

This paper aims at studying the shaping of the fantastic character in the narration of the Algerian author "Al-Tahar Watar” through his novel “Al-Hawat and Al-Qasr”, whose types multiplied and its presence diversified between purely fantastic character, mutant character and characters being fantastic through their presence within a supernatural world, and how the author invests in this presence to create a narrative text within a fantastic framework making it perplexing and astonishing for the receiver, relying on folklore and fantastic tales to start building his world from a different vision of the reality.

Keywords: The Fantastic character, Al-Hawat and Al-Qasr, The epic hero, mutation, supernatural.

[1] المؤلف المرسل : ربيعة براخلية

1. مقدمة:

تعد الشخصية الركيزة الأساسية للخطاب السردي بشكل عام، ومن المقومات الأساسية للروائي بشكل خاص حافظت على أهميّتها باعتبارها تمثّل «العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي»[1]. بل ويذهب البعض الآخر إلى أبعد من ذلك إذ «لا أحد من المكونات السردية الأخرى يقتدر على ما تقتدر عليه الشخصية، فاللغة وحدها تستحيل إلى سمات خرساء فجّة لا تكاد تحمل شيئا من الحياة والجمال، والحدث وحده، وفي غياب وجود الشخصيّة، يستحيل أن يوجد في معزل عنها، والخير يخمد ويخرس إذا لم تسكنه هذه الكائنات الورقيّة العجيبة: الشخصيات»[2]. فهي المكوّن الحيوي من مكوّنات السرد التي تبعث فيه روح الحركة، وجزء لا يتجزأ ولا ينفصل عن بقية أجزاء المكونات السردية التي تتضافر كلها لتشكّل لنا بناء النّص.

ويعد الطاهر وطار من الروائيين الجزائريين الذين استطاعوا أن ينحوا منحى مغايرا في الكتابة السردية، مستعينا بالعجائبي أسلوبا للكتابة لتمرير ما لا يمكن تمريره من خلال الكتابة المعتمدة على عوالم المألوف والطبيعي، ومن رواياته التي حملت طابعا عجائبيا رواية "الحوات والقصر"، التي تروي تفاصيل حياة البطل الملحمي "علي الحوات" الصياد الذي قرر أن يفي بنذره المتمثل في إهداء الملك أجمل سمكة يحصل عليها تعبيرا عن ولائه للقصر وابتهاجه بنجاة الملك من الحادث الذي تعرض له في غابة الوعول، وفي سبيل تحقيق مراده يجابه المخاطر والصعاب في رحلة عجائبية عبر الطريق المؤدي للقصر، مرورا بالقرى السبع وحكاياتها الأغرب من الخيال ، من خلال شخصيات استلهمها الطاهر وطار من الأساطير والتراث الشعبي وحكايات الأبطال ومغامراتهم المليئة بتيمة العجيب والغريب المثير للدهشة والغرابة، وهو ما يدفعنا لطرح التساؤلات الآتية: ما هي السمات التي ميزت شخصيات الحوات والقصر؟ وكيف تمظهرت شخصية البطل العجائبي في الرواية؟ وما هي أنماط الشخصية العجائبية التي وظفها الطاهر وطار في روايته" الحوات والقصر"؟ وهو ما سنحاول الإجابة عليه والإحاطة به مستعينين بالمنهج السيميائي في دراسة الشخصية العجائبية وأنماطها وأشكال حضورها في الرواية.

2.الشخصية في المحكي العجائبي

تستحوذ الشخصيّة في المحكي العجائبي أهميّة استثنائيّة، إذ يرى "شعيب حليفي" في كتابه (شعرية الرواية الفانتاستيكيّة) أنها تتشكّل انطلاقا من مؤشّرين اثنين: «المؤشر الأول: يتجلّى في كون الشخصيّة تحمل سمات التحولات الممكن رصدها بين مختلف الأجناس الأدبية القريبة من الرواية، فهي القطب الذي منه ينطلق الحدث فوق الطبيعي وعليه يقع، أي أنها إحدى المكوّنات الأساسيّة في تحديد الفانتاستيك من خلال المميزات الخلافية، والمتجلية في الأوصاف والسلوك النسبي والمادي

والأفعال المتجسدة انطلاقا من الحركات والأقوال.»[3]، والمؤشر الثاني: أنّ هذه الشخصيّة العجائبيّة شخصيّة غنيّة ذات كثافة تخيلية فوق العادة .

ويعرف سعيد يقطين الشخصية العجائبية بقوله: «نقصد بالشخصيات العجائبية كلّ الشخصيات التي تلعب دورا في مجرى الحكي والمفارقة لما هو موجود في التجربة وفي هذا النطاق بين كون عجائبيتها تكمن في تكوينها الذاتي وطريقة تشكيلها المخالفة لما هو مألوف»[4]، فما يجعل هذه الشخصيات عجائبيّة هو تكونها الذاتي المخالف للمعتاد والمألوف المفارق لما هو موجود في الواقع. باعتبار أنّ الشخصيات العجائبية هي واحدة من البنيات الكبرى التي تتشكل منها الصورة الكليّة لعالم الشخصيات في مجرى الحكي إلى جانب الشخصيات المرجعيّة التي تحيلنا إلى عوالم وحقب تاريخيّة محدّدة الملامح قابلة للإدراك، والتي يمكن إعادة تشكيل شخصيّاتها تبعا لما تقدّمه المصنفات التاريخيّة، والشخصيات التخيّلية «التي ساهم الراوي في تشكيلها وإضفاء طابع الحياة عليها يجعلها تعايش الشخصيات المرجعيّة أو تعيش إلى جانبها، وهذا النوع له الكثير من الملامح الواقعيّة التي تجعله قابلا للتصوّر.»[5]، فهي إذن شخصيات لا نجد لها اسما تاريخيّا محددا لكنها ذات ملامح واقعية تمّ اختلاقها لغايات حكائية محضة لملء الفجوات والثغرات، يمكن أن يحمّلها الراوي من إيداع ما تتحمله الشخصيّة المرجعيّة ومن خلال هذه البنيات الثلاثة (الشخصيات العجائبيّة، الشخصيات المرجعيّة، الشخصيّات التخيّلية) ننتقل من «الشخصيات الممكن إدراكها إلى الممكن تخيّلها وبينهما نصادف كمّا هائلا من الشخصيات المتعددة الملامح والمتداخلة الصفات.»[6] .

3. السمات العجائبيّة لشخصيات رواية " الحوات والقصر"

إنَّ ما يحقّق تنوع الشخصيّة العجائبيّة هو التحوّل والامتساخ والتعارض، فهذه الشخصية تحقّق سحريتها وعجائبيّتها من خلال ما تعايشه « من تحولات وامتساخات ومن ما تقدمه من تعارض واختلاف مع غيرها من الشخصيات داخل فضائها الروائي المشتغلة فيه، أو مع شخوص عالمها الخارجي.»[7]، فالتحول والامتساخ والتعارض هي سمات تخصّ الشخصيات العجائبيّة في مناحي عديدة «فقبل بروز التحولات والامتساخات في الشخصيّة، هناك إيهام ببداية واقعيّة يتمّ من خلالها عرض الشخصية كشيء سويّ ثمّ التدرّج –استباقا واسترجاعا- للكشف عن الأحداث التي تجعل من الشخصيّة كائنا غير عادي»[8].

فالامتساخ والتحوّل من جهة هما «أحد العناصر المؤسسة للعجائبي في النصوص الفانتاستيكيّة سواء اعترى هذا التحوّل الإنسان أو الجماد أو الطبيعة»[9]، لاسيما وأنّ الشخصية عند فيليب هامون ليست بالضرورة كائنا إنسانيا، وهو ما أشار إليه في كتابه "سيميولوجية الشخصيات الروائية" حين أكّد أنه «بالإمكان اعتبار الروح في مؤلفات هيغل شخصيّة، وكذلك الرئيس المدير العام، الشركة المجهولة الاسم والمشرع والسلطة والسهم، والبيضة والدقيق والزبدة والغاز فهذه المواد تشكّل

شخصيات لا تكشف عن نفسها إلا في النص المطبخي، كما أنّ الفيروس والميكروب والكرويات والعضو، هي شخصيات في نصّ يسرد السيرورة التطويرية لمرض ما.»[10]، فهذه الكيانات جميعا يمكن أن تشكّل شخصيات تتحوّل ويعتريها الامتساخ لتوليد الحيرة والإدهاش وإثارة القلق والرعب في نفس الملتقي.

وإلى جانب سمتي التحوّل والامتساخ من جهة ثانية نتوقّف أيضا عند أهمّ سمات الشخصيّة العجائبيّة، هي سمة التعارض، فالشخصيّة كما يصفها "فيليب هامون" «لا تتشكّل فقط من خلال التراكم والتحوّلات، ولكن تتشكّل أيضا من خلال التقابل ومن خلال علاقة شخصيّة بشخصيات الملفوظ الأخرى»[11]، فتسهم سمة التعارض بما تحمله من تضاد وتقابل وتمايز في تحديد الشخصيّة ورسمها سواء تعلّق الأمر بالحكي الأدبي العادي أو المحكي العجائبي، وإن كانت النصوص العجائبيّة ترتكز أكثر من ذلك.

وبالعودة إلى رواية "الحوات والقصر" للطاهر وطار نجد أنّ المسخ والتحوّل قد طال شخصيات الرواية، فها هو ذا بطلها "علي الحوّات" يتحول من إنسان عادي إلى قائد تهتف باسمه القرى السبعة، ونصبته قرية التصوف وليّا من أولياء الله ورسولا وسلطانا عليهم، ومروره في وضح النهار على قرية "بني هّرار" دون أن يراه أحد «تكور مثل غمامة واقتحم الشوارع ظن النّاس أنه زوبعة، ظنوا أنه ثعبان مسعر يلتف في الرمال ويركب الريح السموم»[12]، فتحوّله هذا كان سببا في نجاته من شر هذه القرية وتجسّدت أيضا سمة التحول في شخصية "السمكة" التي أضفى عليها الروائي صفات بشرية تتحدث بحديث البشر فتحاور وتجادل، ثم «تحولها إلى حصان بسبعة أجنحة امتطاه علي الحوات وطار به إلى وادي الأبكار»[13]، وظلت تتحول في كل مرة يحتاج فيها البطل للمساعدة لتقدم كل ما في وسعها لنجاحه في مسعاه ذلك أن التحول قد يحدث « بسبب تهيّؤ الشخصيّة لاستقبال ما تتوقعه من أوضاع أو أحداث جديدة وقد يكون هذا التحوّل إيجابا أو سلبا على الشخصيّة ذاتها أو على محيطها الاجتماعي»[14]، فشكل تحولهما نقطة إيجابية أعانتهما في مسار رحلتهما إلى القصر، وتخطي العقبات التي واجهاها، كما شكل وجودهما مقابل شخوص عادية مفارقة من شأنها خلق الحيرة والتردّد لدى المتلقي إزاء غرابة التكوين والأفعال غير العاديّة، ممّا يجعلها قائمة على مبدأ التعارض الذي يجسّد الفوق طبيعي والذي يسهم بدوره في تبلور الشخصيّة العجائبية وتنوّعها باعتباره مكوّنا من مكوّنات التعجيب .

فتنوّع الشخصية الفانتاستيكيّة «يرسم تطوّرية لا يمكن رصدها إلا عبر النصوص الروائيّة ذات التشكيل العجائبي، وانطلاقا من خصائصها الحاملة للامتساخ والتعارض من جهة ثمّ التحوّل والخرق للمألوف والفوق طبيعي من جهة ثانيّة.»[15]، ما يمنح النصّ السردي العجائبي تنوّعا وثراء يخلق بذلك واقعا آخر مشحونا بالخارق والفوق طبيعي.

4. شخصية البطل في النص العجائبي" الحوات والقصر"

أحاط السارد بطله "علي الحوات" بكثير من العناية، إذ يحكي منذ بداية السرد حكاية هذا الرجل العظيم، وسلسلة البطولات التي قام بها، وتغلبه على كل الصعاب التي حفت مسيرته عبر كامل القرى السبعة الواقعة في طريق القصر في سبيل تحقيق هدفه، والوفاء بالنذر الذي نذره بأن يقدم أحسن سمكة يصطادها لجلالة الملك احتفاء بنجاته من« أهوال الليلة الثامنة في غابة الوعول ويعرف جلالته أن الرعية تحبه وتعطف عليه وتتألم لالآمه»[16]. فأضفى على شخصيته هالة من التعظيم والتهويل ونسج حوله الخرافات وألحق«كافة الصفات والأفعال الأخلاقية به، ليظل على الدوام رمزا عاليا، خفاقا في سماء المثل، إنه القيمة العليا التي ينظر إليها الجميع بعين العجب والانبهار»[17]. فهو كما يقدمه الروائي الشاب الطيب الخلوق الذي «شذ عن إخوته الثلاثة وعن كثير من أقاربه فابتعد عن طريق الضلالة، لم يسرق يوما، لم يكذب مرة، لم يتعد على أحد، لم يثلب في عرضن أو يتعرض بسوء لغيره»[18]. مولع بالصيد من صغره يعطي بلا مقابل ويغضب إن قدم إليه أحدهم ثمنا لصنيعه فيصيح فيهم «الزيت من الزيتونة والحوت من البحر ولا حاجة لنقودكم»[19]. استطاعت هذه الشخصية أن تتحول من شخصية عادية إلى أخرى عجائبية لتحرير القرى السبع من سلطة القصر ورهبته إذ لم يكن يجرؤ أحد على الاقتراب منه فجاء "علي الحوات" ليخرق العادة ويتخذ بادرة لا أحد يدري عواقبها ليشكل ذلك أولى عجائبيات هذه الشخصية، فأن يقدم سمكة بوزن سبعين رطلا لجلالة الملك ويسعى إلى ذلك بنفسه جعل أهل القرية في دهشة من أمرهم، كما أن كسر هذا الحاجز بالنسبة لهم ضرب من الجنون وخرق للمألوف ولا يقدم على هذا الفعل إلا بطل خارق، وقد تجسدت عجائبية هذه الشخصية من خلال عدة تيمات وتحولات طالت هذه الشخصية، كتحوله إلى غيمة ثم إلى ثعبان مسعر كما سبق وأشرنا وطاقته التي تفوق مقدرة البشر، فحين اعترضت طريقه عجوز شمطاء من قرية "بني هرار" استطاع أن ينفخ عنها فالتهمتها ألسنة نيران زرقاء، وحين «تعرت صبية في الثانية عشر ووثبت تقف في طريقه تدعوه لمضاجعتها فرفع اصبعه وحركه حركات متعددة، وإذ بها تستعيد ثيابها وتقفز »[20]بعيدا عنه ، وامتطاؤه البراق ودخوله القرية كالفاتح وبتر أعضائه واستعادتها وزواجه من الجنية «إن علي الحوات استعاد كل أعضائه المفقودة وتزوج العذراء التي كانت بحق سلطانة السلطانات»[21]. ودموعه التي أغرقت القصر في فيضان حتى تحولت جدرانه إلى ملح وراحت في الذوبان، فكثيرة هي الملامح العجائبية التي اتسمت بها هذه الشخصية ومنحتها أبعادا أسطورية، استلهم فيها الطاهر وطار الأساطير والخرافات الشعبية كأسطورة "أوزوريس" إله الخصب والنماء الذي جسد الصراع الأزلي بين الخير والشر المتجدد عبر الأزمنة والأمكنة، لكنه لم يكتف بتكرارها أو نقلها لتأتي مقحمة «إنما يبدع بها وفيها فيخلق أساطير وخرافات لم نعهدها من قبل»[22]. فقد ارتقى ببطله إلى مصاف الأولياء والأنبياء من خلال تيمتي الرؤيا والحلم وتحققهما فقرية التصوف رأته في منامها قبل قدومه إليها «في ليلة واحدة يا علي الحوات، رآك

جميع أهل القرية في نامهم حلموا بك حلما واحدا »[23]. كرؤيا سيدنا يوسف عليه السلام وكيد إخوته له وتحقق الحلم في نهاية المطاف « كل الأقاويل، تجمع على أن القصر انتهى، وأن حلم المتصوفيين تحقق»[24].

فالرحلة العجائبية التي قام بها علي الحوات«من قريته إلى القصر، ومسيرته الطويلة المحفوفة بالمخاطر لتقديم نذره وبلوغ مراده، ليست فيما نرى إلا مسيرة الوعي الطويلة في صراعه من أجل كشف الحقيقة واكتساب المعرفة والسعادة (...) وتجسيد لتصور نظري لحركة الوعي»[25]. الذي يقود إلى الثورة على الظلم وافتكاك السلطة والوعي «بضرورة التضامن والتوحيد وضرورة التنظيم المحكم للانتقال بالفكر من الوعي النظري إلى الممارسة الميدانية الخلاقة»[26]. هذا الوعي الذي تحتاجه الأمم للنهوض والتحرر .

5. الشخصية العجائبية المؤنسنة في رواية" الحوات والقصر"

لقد لجأ "الطاهر وطار" في نصه السردي "الحوات والقصر" إلى ظاهرة الأنسنة في رسم شخصيّاته العجائبيّة باعتبارها «رؤية فنيّة فائقة لا تخضع للمقاييس المنطقيّة ولا تشابه الأحداث الواقعيّة»[27]. حيث يضفي الروائي «صفات إنسانيّة محدّدة على الأمكنة، والحيوانات، والطيور، والأشياء، وظواهر الطبيعة حيث يشكّلها تشكيلا إنسانيّا»[28] فتتألف بذلك الذات الإنسانيّة المبدعة مع الذات غير العاقلة الخاضعة للأنسنة والتي تذوب ماهيّتها الحقيقيّة لنتعرّف «بشكل جديد يتّسم بالعمق والروعة إلى تجليّات العالم الخارجي الذي يصبح أكثر حيويّة وحياة وإنسانيّة ونتلمّس من الوقت نفسه رؤية الفنان الفكريّة للحياة والمدى الإنساني الذي يتّسم به»[29] .

وقد برزت شخصيّة " السمكة" كشخصيّة حيوانيّة مؤنسنة عجائبيّة في الرواية، سمكة تزن سبعين رطلا، ألوانها لا حصر لها«في طول يزيد عن المتر وعرض يزيد عن ربع متر»[30]. حملتها جنيات خيرات من وادي الأبكار لمساعدة علي الحوات في مسعاه، تشبه تصرفاتها تصرفات البشر، بإمكانها العيش خارج الماء مثل الإنسان«سآتي معك يا علي إلى القصر، وسأظل حية حتى أصل سالمة إلى القصر، فلا تهم بأنك تحاول تسميم جلالته»[31]. تتحدث بحديثهم وتفهم ما يقال تحاور وتجادل، وهو ما يصنع عجائبية هذه الشخصية أمام دهشة سكان القرى السبع، فتكوينها المخالف للمألوف ودخولها كعنصر غير بشري لكن مؤنسن في تقديم المساعدة للبطل يعد من أقوى التيمات الدالة على احتفاء النص السردي" الحوات والقصر" بالعجائبي، فهي شخصية مساعدة عملت على تذليل الصعوبات لعلي الحوات ومشاركتها معه في الهجوم الذي تعرض له من قبل سكان قرية " بني هرّار" «عندما بلغ مدخل القرية، أنزل السمكة وأزال عنها الرداء، راحت السمكة تقفز صارخة، تضرب هذا وتلطم ذك»[32]. فقد قدمت السمكة كمساعد كل ما في وسعها ليحقق البطل نجاحه في الوصول إلى القصر، لاسيما وأن«الشخصية المساعدة/ المانحة تعطي القدرة على الفعل للبطل، وتعاونه في

التغلب على العقبات التي تضعها في طريقه الشخصية الشريرة، ذلك لأن البطل بكل فضائله من الصعب عليه النجاح في مهمته إلا بمعاونة يقدمها إليه مساعدون طيبون، وتلعب الحيوانات والقوى الخارقة دورا هاما في مساعدة البطل على تحقيق غاياته، مكافأة له على مشاعره الطيبة، أو على عمل الخير »[33]، ولقد خضعت هذه الشخصية لجملة من التحولات الخارجية عزّز عجائبيتها من خلال قدرتها على التحول بما يتناسب مع الوضع، وهو ما يعكس أهمية التحول في الرواية العجائبية، لا سيما وأن رواية "الحوات والقصر" جاءت على طريقة الحكاية الشعبية التي تمجد البطل ومغامراته، فنجدها تحولت إلى «براق ذي رجل واحدة وثلاثة أجنحة»[37]، استعان بها البطل لدخول قرية "بني هرّار" في توظيف واضح من الكاتب للتراث الديني الإسلامي وقصة الإسراء والمعراج، ثم تحولها في موقع آخر إلى امرأة فاتنة أثناء تواجدها في القصر، وحين احتاج علي الحوات مغادرة القصر تحولت إلى حصان بسبعة أجنحة امتطاه وطار بعيدا عنه متجها إلى وادي الأبكار، فهذه التحولات أعطت للنص الروائي طابعه العجائبي السحري.

6. الجن في رواية" الحوات والقصر"

عالم الجن واحد من عوالم الأساطير التي رافقت مخيلة البشر، فاتخذها الإنسان وسيلة للتعبير عن عجزه في تفسير كثير من الحقائق، وهي من القوى الخارقة التي تعايشت مع بطل الرواية وقدمت كل ما في وسعها لمساعدته ، مقدرتهم على التصور في صورة الإنس، والبهائم، والحيات والعقارب وغيرها، والتنقل بيسر من مكان إلى أخر وتحقيق الأمنيات تمنحهم طاقة سحرية وقوة لا تعادلها قوة أخرى، منهم الصالحون ومنهم غير ذلك، وفي معظم قصص الجن غالبا ما ترغب الجنية في الأنسي ويتعلق الجني بالأنثى من البشر، فهذا الحبُّ الذي ينشأ بينهما لون شاذ لكنه أليف عند كتّاب العجائبي يرد بكثرة في مواضع كثيرة، وقصص العشق بينهما«ترمز في الغالب إلى هذا الشوق عند الإنسان في الإمتزاج بالمجهول الذي يسيطر عليه ويفوقه في قدراته وإمكانياته»[34]، في محاولة منه لفهم ما لم يفهمه من مظاهر هذه القوة الخارقة أو في رغبة الجن بالسيطرة على البشر من خلال استغلال مقدرتهم في التحول، وقد أدخل الروائي في روايته" الحوات والقصر" الجنية مساعدا لحصول البطل على السمكة لكنها في المقابل ساومته على الزواج من خلال الحوار الذي دار بينهما«قالت النساء: إن جنية شبقية، استحمت في وادي الأبكار، ثم نزلت إلى وادي قرية التحفظ تبحث عن رجل، كان علي الحوات أول من صادفها برزت له متعطرة في أجمل صورة، وسألته :

ماذا تطلب؟

أطلب أجمل سمكة، تليق بمقام جلالة الملك

أعطيكها

لدي شرط واحد.

أنا ظمأي لم يستطع فحول الجن، أن يروو شبقي أبحث عن إنسان فحل»[35] .

فحصول علي الحوات على مراده كلفه الرضوخ لمطالب الجنية التي أقنعته أن الأمر لا علاقة له بالخيانة مادام الأمر من غير جنسه ولن يكون إلا حلما لذيذ عابر«رضخ علي الحوات أخيرا، فالتهم الجنية الساحرة والتهمته حاول أن يقهرها فقهرته. انكسرت رجولته، أمام شبقها، فاستلقى جانبها. غلبه النوم فنام »[36]، وعندما استيقظ وجد سمكته المطلوبة بجانبه حققت الجنية أمنيته في الحصول عليها.

7. السارد العجائبي في رواية" الحوات والقصر"

إن الوقوف عند مصدر المعلومات المقدّمة حول الشخصيّة الروائيّة يكون بطريقتين، إما أن يكون تقديما مباشرا دون وسائط فتقدّم الشخصيّة نفسها بذاتها مستعملة في ذلك ضمير المتكلّم أو أن يكون تقديما غير مباشر للشخصية يتولّى زمامه السارد، فيخبر عن طبائعها وأوصافها، فالسارد أو الراوي هو «قناع من الأقنعة العديدة التي يتستّر وراءها الراوي لتقديم عمله»[37] فهو الوسيط بين المروّي والمرويّ له إذ بوسعه أيضا أن يوكل أمر الإخبار إلى شخصيّة أخرى من شخصيّات الرواية، لذا فهو يفرض حضوره الدائم على السرد باعتباره «كائن تخييلي يعمد المؤلف إلى خلقه حتى يدعم سلطة السّرد، انطلاقا من وضعيّته التي هي وضعيّة إنتاج كلام، وسط تعدّدية أصوات تشكّل النسيج الحيّ للرواية»[38] .

وبالعودة إلى رواية "الحوات والقصر" للطاهر وطار نجد أن مصدر المعلومات الخاصة بشخصية البطل أخذ السارد الغائب زمامها عبر منظوره وصوته من خلال رصده لمختلف التفاصيل الداخلية والخارجية لعلي الحوات، فهو الابن البار كما سبق الذكر، أصغر إخوته، مولع بالصيد، استأثر بجانب كبير من اهتمامه منذ بداية الحكي فقدمه بأسلوبه كما هو الشأن في قوله« رجاهم علي الحوات أن يأذنوا له بالانصراف»[39] أو على نحو قوله «تراجع علي الحوات ووضع مثل باقي ... يده على خده»[40]، وفي مقابل تقديم الراوي الغائب لشخصية علي الحوات نقابل أيضا تقديم الشخصية لنفسها تقديما مباشرا دون وسيط مستعينا بضمير المتكلم، ومن ذلك قوله:«هذا طبعي»[41]، إلى جانب سلسلة من الرواة مجهولين يتناقلون الخبر دون أن نعرف عنهم شيئا ذلك أنهم تناقلوا الخبر على نحو الحكايا الشعبية، فهي مصادر مغفلة تستعين بعبارات يقال إن، قيل إن...لا ينحاز السارد الغائب إلى أحد منها. وهذه الاستعانة بتعدد الرواة تزيد الرواية إغراقا في العجائبي المثير المؤدّي إلى التردد والحيرة.

8. خاتمة:

وما يمكن قوله من خلال ما تم التطرق إليه، أن العجائبي واحد من أهم التقنيات التي اتكأ عليه الطاهر وطار في بناء سرده، متخذا من التراث والحكايات العجائبية مادة دسمة نهل منها ووظفها

بما يخدم نصه ويتواءم مع أفكاره التي مررها عبر شخصيات روايته، وقد خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج مفادها:

أنّ العجائبي إختيار واعي من الكاتب حاول من خلاله تمثل الواقع برؤى مخالفة ومغايرة لنمط الكتابة التقليدي، وهي ميزة الكتابة الأدبية المعاصرة التي كان لا بد لها أن تجاري حركية الإنسان ومعطياته الجديدة، وعراكه المستمر مع الحياة.

أن مزج الطاهر وطار في روايته بين العالمين الواقعي واللاواقعي، أضفى مسحة إبداعية على عمله السردي، كسر من خلالها رتابة الحكي وأفق التوقع لدى المتلقي، بجعله يعيش حالة من الدهشة الجميلة والحيرة المثيرة للفضول، تجعله ينقاد إلى النص دو ن إرادة منه.

تعد الشخصية واحدة من أهم الأقطاب التي انطلق منها الطاهر وطار في تشكيل عجائبية نصه، حضرت بقوة فتنوعت وتوزعت على مدار الحكي، تشكلت من الشخصيات العجائبية المحضة كشخصية "السمكة" التي ظهرت منذ بداية السرد بطابع خارج عن المألوف لتتعرض بعدها لجملة من التحولات ، تشكلت أيضا من الشخصيات التي طالها التحول كما هو الشأن في شخصية بطلها الملحمي"علي الحوّات"، الذي تعززت عجائبيته بتطور أحداث الرواية عبر رحلته إلى القصر ، مرورا بالقرى العجائبية السبع، حضرت أيضا الشخصيات العادية التي وجدت نفسها في مواجهة عوالم عجائبية، هذا التواجد خلق نوع من التوتر على مستوى الشخصية من جهة وعلى مستوى المتلقي من جهة أخرى .

استحوذت شخصية "علي الحوات"، على اهتمام الروائي والسارد وحتى شخصيات الرواية نظرا للحمولة الأسطورية والتراثية والمرجعيات التي أسهمت في تشكيلها ولأنها استطاعت أن تمنح للغير طاقة إيجابية من خلال تمسكها بالحلم ورفضها الاستسلام والتسليم لواقع الحال المزري ومجابهتها إياه بشتى الوسائل .

أن أهم سمة ميزت شخصيات الرواية هي التحول الذي عمل على ترسيم عجائبيتها ونقلها من مدار المألوف المعتاد إلى الخارق العجيب .

استطاعت الرواية إزاحة الستار والكشف عن الفجوات العميقة التي تفصل الحاكم عن رعيته، مما ينعكس سلبا على أوضاعهم الحياتية التي تبقى مغيبة لا تتعدى في كثير من الأحايين حاشية الحاكم .

الهوامش:

1 سعيد يقطين، "قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبيّة)"، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997، ص: 87.

2 مرتاض عبد الملك، "في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص: 91.

3 شعيب حليفي، "شعرية الرواية الفانتاستيكيّة"، دار الأمان، المغرب، ط1، 2009، ص: 197.

4 المرجع نفسه، ص: 99.

5 المرجع نفسه، ص: 92.

6 المرجع السابق، ص: 93.

7 باية غيبوب، "الشخصيّة الأنثروبولوجيّة العجائبية في رواية مائة عام من العزلة، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2012، ص: 72.

8 شعيب حليفي، "شعرية الرواية الفانتاستيكيّة"، ص: 202.

9 المرجع نفسه، ص: 210.

10 فيليب هامون، "سيميولوجية الشخصية الروائية"، تر: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2013، ص: 31.

11 المرجع نفسه، ص: 42.

12 الطاهر وطار، الحوات والقصر، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص36.

13 نفسه، ص ن.

14 نفسه، ص: 87.

15 نفسه، ص: 208.

16 نفسه، ص 31.

17 نبيل حمدي الشاهد، الحكايات العجائبية في السرد العربي القديم،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ص 223.

18 الطاهر وطار، الحوات والقصر، ص 10.

19 نفسه، ص 11.

20 نفسه ، ص 31

21 نفسه ، ص 171

22 مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000،ص 70.

23 الطاهر وطار، الحوات والقصر، ص 41

24 نفسه، ص 171.

25بوزيدة عبد القادر، 2003، الحوات والقصر رحلة علي الحوات أم رحلة الوعي، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر2، مج 10، ع 1،ص 10.

26 مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر، منشورات، ص 70.

27 أحمد مرشد، "أنسنة المكان في روايات عبد الرحمان منيف"، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، 2003ن ط1، ص: 07.

28 نفسه، ص: 07.

29 نفسه، ص: 09.

30 الطاهر وطار، الحوات والقصر، ص17

31 نفسه، ص 19

32 نفسه، ص 38

33 نبيل حمدي الشاهد، الحكايات العجائبية في السرد العربي القديم، ص 233

34 فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1991، ص: 49.

35 الطاهر وطار، الحوات والقصر، ص134.

36 نفسه، ص135.

37 سيزا قاسم، "بناء الرواية"، مكتبة الأسرة، مصر، 2004، ص: 184.

38 شعيب حليفي، "شعرية الرواية الفانتاستيكيّة"، ص: 154.

39 الطاهر وطار، الحوات والقصر، ص134.

40 نفسه، ص127.

41 نفسه ، ص24.